

أفاعي الفردوس

عنوان الكتاب : أفاعي الفردوس

الكاتب: الياس أبو شبكة

اختيار: مالك صقور

تقديم: حكمت إبراهيم هلال

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/135/أيلول

الناشر : اتحاد الكتاب العرب

الإخراج الفني : وفاء الساطي

الحقوق كافة

محفوظة

لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني: mawkif@tutanota.com

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

<http://www.awu.sy>

الياس أبوشبكة

أفاعي الفردوس

اختيار: مالك صقور

تقديم: حكمت إبراهيم هلال

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (135)

الياس أبو شبكة

1947.1903

حكمت إبراهيم هلال

يحتل الياس أبو شبكة مكانة خاصة بين الأدباء والشعراء وهو غزير الإنتاج متنوعه، لقد خلف وراءه أكثر من ثلاثين كتاباً بين شعر وأدب وترجمة جمعت فنون الأدب من شعر ومقالة وقصة وترجمة، على أن هذا الإنتاج يتجلى في الأسلوب وفي المضمون جميعاً، في الأسلوب نجد لفظاً أنيقاً وجملة قصيرة وصورة رشيقة.

وفي المضمون كان إنساناً طيب القلب صريح القول كريم الخلق واسع الأفق. نظم الشعر فبرع وكتب في فنون النثر كلها وأتقن اللغة العربية والفرنسية فترجم لكبار الكتاب ترجمة دقيقة. فكان الياس أبو شبكة صديقاً

مخلصاً وفيماً، سليم القلب، طيب السريرة على إباء وكبرياء
ونباهة وقد وصفه مارون عبود فقال: نشأ في بيت مستور وهو
حارة تدل على يسر صاحبها فحيطانها مدهونة وأرضها
مفروشة بالبلاط الرخامي وغرفها واسعة وعالية، والدار
فسيحة، وهذا هو طراز البناء البرجوازي اللبناني كأنما
أعد ذلك البيت رفيع العماد ليأوي إليه شاعر ثائر بأئس.
تأبى عليه أنفته أن يظهر أمامك في مبادلته فاستطاب شقاءه،
والشقاء هو الحياة بل لا لذة للحياة إن لم يكن الشقاء".

حياته:

ولد الشاعر الياس أبو شبكة بن يوسف بن الياس أبو
شبكة سنة 1903 في برودفيلاس بالولايات المتحدة أثناء
سياحة قام بها والده ومن هناك انتقل والده إلى باريس ومن
ثم عادوا إلى ضيعتهم (الذوق) في كروان لبنان ولم يتجاوز
السنة. درس علومه في مدرسة عينطورة سنة 1911 ولما وقعت
الحرب العالمية الأولى توقف عن الدراسة. وبعد انتهاء الحرب
استأنف دراسته في مدرسة الأخوة المريميين في جونبة ففضى

فيها سنة دراسية واحدة ثم عاد إلى مدرسة عينطورة من سنة 1911 حتى سنة 1914 فكان غريب الأطوار يتعلم على ذوقه ويتمرد على أساتذته.

وكان والده ثرياً وفي مكانة عليّة وخلق رفيع فاغتماله اللصوص سنة 1914 في مصر مما أثر في الشاعر تأثيراً بليغاً فأصبح شقياً بائساً، تأبى عليه عزة نفسه. فأثر فيه ذلك النبأ المفجع أثراً بليغاً في نفسه لأنه كان يحب والده حباً كبيراً.

فكان هذا الجرح فاتحة عهده بالشقاء مما جعله يكسح للعيش. فاشتغل في التدريس وكتابة المقالات والترجمة ولقد ظهرت آثار هذا الجرح في كتابه "القيثارة" باكورة أعماله حيث الكتابة المرة والسواد المظلم المعذب. فانصرف إلى بناء ذاته معتمداً على نفسه وانطلق في ميدان الحياة يعاني من الفاقة وشظف العيش بحلوها ومرها، وكانت تأبى نفسه الكبيرة إلا أن يأكل خبزه بعرق جبينه وعصارة قلبه. بحث عن الوظيفة في دوائر الحكومة فعاد بالخيبة والفشل، فظل هكذا والفقر يلاحقه وشكواه

الصريحة من نفاق الناس وقسوة الأيام يعلنها في رسائله إلى أصدقائه وإلى خطيبته وعلى صفحات الأوراق التي يبوح بها بأسرار نفسه الناقمة. ولم يكن الشعر وإن كان جيداً ليسد عوزاً ويعيل محتاجاً لذلك كان لا بد من مهنة يعتاش منها فلجأ إلى التعليم ومهنة أكثر الأدباء في عصره. فعلم في معهد اليسوعيين ومدرسة المقاصد الإسلامية ومدرسة الفريد ولكن نفسه لم تجد في أجواء المدارس راحتها واستقرارها. فترك التعليم إلى غير عودة وأخذ يؤسس "عصبة العشرة" وهي جمعية أدبية انضوى تحت لوائها خليل تقي الدين وتوفيق عواد وكرم ملحم كرم وميشال أبي شهلا وفؤاد حبيش وسواهم من أدباء النهضة الحديثة ثم انصرف إلى الصحافة يهبها كل وقته وطاقاته. كان يكتب في جرائد لبنانية ومصرية عدة وينشر الروايات المتسلسلة ويصحح الأخبار المحلية ويكتب التعليقات السياسية والمقالات الاجتماعية ولقد أظهر في كل ما كتب نضجاً وجرأة وصراحة لم تعرفها الصحافة إلا من الأفاضل من أقلامها. وعلى الرغم من أن الصحافة كانت تلتهم وقته

وجهدته فإنه لم يكن يستطيع أن يهدئ غليان نفسه وثورته
الشاعرية التي نفحت الأدب بأبلغ الثمار وأعلى الكنوز. ويوم
ترك الصحافة وكان ذلك قبل أن ينطفئ السراج بقليل
انصرف إلى إدارة الإذاعة اللبنانية في آخر عهد الانتداب.
ولقد أرهاق العمل جسده وهو بعد في نضارة الحياة كما
أرهاق التفكير قلبه فارتضى دون تدمير فريسة الداء القهار
الذي صرعه في 27 كانون الثاني سنة 1947 فكان لغيابه
دوي تردد في جميع أنحاء لبنان والمهجر ولمعت في العين دمة
صادقة على شاعر من عمالقة هذا العصر.

أدبه:

تنوعت نشاطات الياس أبو شبكة كثيراً وقد جال في
ميادين كثيرة فأثرى المكتبة العربية بنحو ثلاثين كتاباً
شعراً ونثراً وترجمة وأشهر ما له سبع مجموعات شعرية.
1 - نداء القلب. 2 - إلى الأبد. 3 - القيثارة. 4 - أفاعي
الفردوس. 5 - الألحان. 6 - غلواء. 7 - معبد الآلهة. وله في النثر
(الرسوم) وهي مجموعة صور قلمية لرجال الأدب والسياسة

والإدارة في لبنان وروابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة في النقد والتاريخ الأدبي، وله إلى جانب ذلك عدد كبير من كتب الترجمة (البخيل) و(المثري النبيل) و(مريض الهموم) لموليير الفرنسي وجوسلين للشاعر الفرنسي لامارتين وميكرو فيغاس وثلاث قصص لفولتير.

1 - القيثارة: وهي المجموعة الأولى من شعر الياس أبو شبكة نظمها وهو دون الثانية والعشرين من عمره وفيها نحو ثمانين قصيدة ومقطوعة أصدرها عام 1926 وهي وإن حفلت باضطراب الأسلوب وضعف اللغة، وإن كثرت فيها التقليد لشعراء من الغرب والشرق، وإن عصفت فيها الروح الجبرانية والعلائية تدل على شاعرية حقيقية في طور التكوين الذاتي وفي طور النمو الطموح وشعر القيثارة هو شعر الرومنطيقية التي عاشها الشاعر في مطلع حياته مع ألفرد دوفيتشي وألفرد دوماسيه ولامرتين وغيرهم، شعر الألم والتشاؤم واللجوء إلى قلب الطبيعة وقلب المرأة هرباً من فساد الناس لما فيه مزيج من سعادة وشقاء وفي حناياها كثير من التأمل والانهيال النفسي، قال الشاعر في أغنية المغيب:

اسجدي لله يا نفسي فقد وافى المغيب
واستريحى من عناء الفكر والفكر رهيب
واستري الآلام حيناً بابتسامات الحبيب
فقدأ ترجع آلامك والآتي قريب
اسجدي لله واسلي فترة ذكرى العذاب
قبلما تزحف في الوديان أشباح الضباب
واستعيدي ذكريات لأوقات عذاب
لم يكن ماضيك كالحاضر دمعاً ويخيب
اسجدي لله يا نفسي فقد وافى المغيب

كان الياس أبو شبكة قلعة فكرية شامخة متعدد
الوجوه، عالم في الشعر والقصة والمسرحية والترجمة
والرواية والنقد الأدبي والمقالة والصحافة. ولم تكن هذه
التعددية إن صح القول ترفاً بل كان لها ما ينظمها ويخلق لها
إيقاعاً واضحاً.

قال ميخائيل نعيمة "لا أرى شاعراً من شعراء العهد الجديد بلغ قمة شاعريته إلا في "أفاعي الفردوس" فهذه المجموعة هي بحق تحفة نادرة في شعرنا العربي وما أعرف شاعراً من شعراء عهدنا الجديد يستطيع أن يأتي بمثلها أو أن يدانيها في وصف الشهوات الجسدية الجامعة"

شعر أفاعي الفردوس صوت الحياة مُعرّاة وصورة للجموح الشهواني في أشد ما وصل إليه. وذلك في غير تكلف ولا رثاء، وفي هذا الشعر ينتزع أبو شبكة من أعماق النفس البشرية ومن الشهوات وينشرها في لهجة صريحة وجريئة ينشرها لا للإغراء بها ولا تحسينها في أعين الناس بل لانتزاع العاشقين من قاذورات فسقهم وإبعاد الضعفاء من مزلق الرجس وتحبيب الفضيلة إلى الناس أجمعين.

قال: رزوق فرح رزوق:

وأفاعي الفردوس يعد هذا شعراً مبتكراً الطابع فهو فتح جديد في شعرنا المعاصر وطريق مهدتها خطأ الشاعر، واكسب عنف شعوره وقلق نفسه جرأة في القول وصموداً للتحدي وعلى هذا الطريق سار فيها بعد شعراء كانوا من قبل إذا أحسوا العاصفة الهادرة في أعماقهم".

ففي أفاعي الفردوس سبعة أبيات ستة منها رسوم
حيوانية وفي مقدمتها الأفعى وهي توحى بالتلون وثمة النسور
والشحرور والليث واللبوة، وتبرز في المقاطع الأربعة الأخرى
رموز حيوانية (الليث والحية والوعل والعقرب...) ويخاطب
الشاعر في المقطع الأول (دليلة) رمز الجمال والخيانة معاً
متألماً من سطوة الجمال على القوة وتحويلها إلى ضعف في
الأسود والنسور والجبابرة كهرقل وشمشون. ويذكر في
البيت الثالث حكاية ديجانير زوج هرقل التي أرسلت إليه
القميص المسموم بخدعة من السانطور الذي قتله هرقل وقد
قال لها إنه يعيد لها حب هرقل إذا لبسه ويعود إلى المقطع
الثاني إلى بيان تأثير الجمال في القوة فقد خرج الليث (رمز
شمشون) من عرينه المهجور غاضباً يضرب في الأرض
ويتطاير الشرر من عينيه كالحمم ففرت الذئاب من طريقه
وخلأ الغاب له إلا من لبوة مخدرة الحسن (رمز دليلة)
فيضعف وينقاد لها ويستسلم لهذه اللبوة الجميلة الخائنة.
ويخاطب الشاعر في المقطع الثالث دليلة على لسان
شمشون طالباً منها أن تغذي قواها من أكسيره فهي حسناء
كحياة الجنة يجتمع فيها الحسن والغدر والتوحش معاً.

وكان المقطع الرابع نتيجة لاستسلام شمشون فقد
أوصله ضعفه إلى عبوديته. وخلت الصحراء من حامى
الضعفاء الذي أصبح عبداً أعمى سجيناً ينتظر الموت ودليله
أفعى فحيحها يملأ سرير الغرام وشمشون أسير هذه الأفعى
ينام معها على سرير واحد، ثم كان ما كان، وكان
شمشون قبل لقائه بدليلة قاضياً ورجلاً وقوراً وحكيماً
وبطلاً جباراً يحمي بلاده فلما وقع في عشق دليله أصبح
عاشقاً أسيراً حقيراً. غدا ضحية غرائزه وهمجيته.

وفي المشهد الثاني حكاية لوط مع ابنتيه وتبرز فيه
صورة المرأة الأفعى الشيطان ذات الشهوة النارية وهي شهوة
محرمة ويبدو فيها الرجل ضحية المرأة التي تدلعه وفقاً إلى
الفسق والفجور فترتكب الخطيئة. ويحاول الشاعر إظهار
صفات الخيانة فالشاعر يطلب من ابنة لوط أن تسقي أباهما
الخمرة وأن تضطجع معه وأن تدخل إلى فراشه وترتكب
فعل الزنى. فالشاعر يصف عزم ابنة لوط على فعلتها
النكراء، فقد أعمت الشهوة عينيها، وفي النهاية يعود
الشاعر الرومنسي إلى الله ويتوب عن خطاياها توبة صادقة

ويريد من حواء أن تكون نقية طاهرة كالثلج وأن يكون
الرابط الروحي مقدساً بعيداً عن الدنس. ولذلك فإن على
المرأة أن تكون مخلصه صادقة حين تحب وتعاهد الرجل
على الزواج:

أقول لها ثوب العفاف تذكري

ففي ساعة الإكليل لم يكن معتبرا

لبست رداء العرس أبيض ناصعاً

فمن أين جاءت هذه اللطخة الحمرا

كان الياس أبو شبكة جبلاً من معرفة وهرماً من
ظرف ولطف وذوق وكتابة وشعر وإني لأعجز عن أن أَلَمَّ
بكل صفاته، ولأن غاب الياس أبو شبكة عن دنيا الأدب
والشعر فإنه باقٍ في وجدان هذه الأمة خالداً بذكره وآثاره.

في حديث الشعر

لا أكتب هذه المقدمة لأحدّد الشعر، أو لأعلمّ الشاعر كيف ينبغي له أن يشعر، وأي طريق يجب عليه أن يسلك ليصل إلى هيكل النور الأسمى، أو لأجيب بنظرية أتصّبب لها وأعلن لأجلها حرباً، فالشعر كائن حي تحتشد فيه الطبيعة والحياة، فلا يقاس ولا يوزن، والنظريات مذاهب وأغراض لا تعيش إلا على هامش الأدب كما يعيش العرض على هامش الجوهر أو كما يعيش الديكتاتور الزائل على هامش الأمة الأزلية.

وقد تصحّ النظريات أو المذاهب في كتاب سياسي أو وصية سياسية موجهة إلى شعب له أوضاعه الخاصة، وحدوده المقررة، وثقافته، وجنسيته، ولا تصحّ في شعر يعبر عن الحياة، فالحياة لا جنسية لها ولا أوضاع ولا حدود، وهي

أوسع من أن نضع لها حدوداً ومقاييس، والدائرة غير المحدودة لا تتحصر في الحدقة الضيقة.

ليس للفكر حدّ ولا تخوم، فكيف نضع للحياة حدّاً وهي هدف الفكر؟ كيف نحدد هذه القوة المتحولة في اللانهاية، هذه القوة المجهولة؟

وربّ قائل أن الإنسان دائم الشوق إلى معرفة المجهول. وهذا صحيح. على أن الشوق إلى معرفة المجهول لا يلزم العقل البشري إلاّ عندما يقتنع الإنسان بأن إدراكه الحسي للعالم الخارجي لا يكشف له حقائق الأشياء التي يراها ويلمسها، ويضطر إلى الاعتراف بأن إدراكاته الذاتية ليست سوى تأثيرات لسبب خارجي يجهل حقيقته. ولكن الجاهل لا تمرّ في خاطره أية شبهة بشهادة حواسه الذاتية، ويعتقد كل الاعتقاد أن الأشياء التي يراها ويلمسها هي الحقائق بعينها. ولا يمكن تحويله عن هذا الاعتقاد لأن نظريته في مبحث المعرفة تمثل أحط دركة من المادية التافهة، ولأنه يصر على إدراكه مالا يُدرك - بل يُحس، يصرّ على إدراكه الحقيقية المطلقة ورؤيته إياها من وراء المظهر المتحول في الحياة.

كيف نستطيع إدراك ما لا يدرك بل يحس لنقيده في دائرة ضيقة من اصطلاحاتنا البيانية، ثم نوزعه مذاهب وطبقات هي سياسة الشعر لا طبيعته؟ أليس من الخرق أن نحاول بلغة وضعية تحديد لغة المجاز والكناية، لغة الروح، لغة الحس الوجداني العميق؟

وقد يعمد بعض هواة النظريات إلى تحديد الشعر بالطريقة الفلسفية، وفي هذا دليل على شك هذا البعض في الشعر نفسه: في جوهر الحياة.. فالمرء لا يلزم جانب التفلسف إلا عندما يخالجه الشك، مززع الاعتقاد بمطابقة المدارك الحسية لحقيقة الأشياء المدركة. وهذا الشك الفلسفي ينم في حد ذاته عن الاعتراف بعجز الوسائل العلمية وقصورها.

وهذا الاعتراف يرغمنا في نهاية الأمر على التسليم بأننا لن نتمكن من معرفة حقائق الأشياء بوسائلنا المحدودة، وأن ضعف وسائلنا ناجم عن طبيعة تكويننا الناقص... وعندئذ يصبح المجهول في نظرنا السر الغامض، أي الحد الأخير الذي يقف عنده الذكاء البشري.

هذا هو الشوط الذي تجتازه الفكرة الفلسفية عندما تصدر عن الشك لتخلص إلى الشوق لمعرفة المجهول. وإذا أضفنا إلى هذه البيانات التأثير المخيب لتقلب الحياة في هذا العالم، ندرك في الحال أن من العبث والجهد الضائع التشبث في البحث عن الحقيقة المطلقة الثابتة وراء مظهر الوجود المتقلب، وعندئذ يغمرنا هذا الإدراك بكآبة عميقة، فنفهم السبب الحقيقي لذلك التشاؤم العميق الذي يستولي عادةً على الشعراء.

إذن، ثمة حقيقة غامضة من العبث والبحث عنها لتحديدها، وقد قال الأب بريمون: "إن كل قصيدة مدينة بطابعها الشعري لتألق هذه الحقيقة الغامضة". وربما أراد الأب بريمون أن يعني بهذه "الحقيقة الغامضة" الوحي. وهو في ذلك لم يجيء بنظرية، بل عبر عن شيء يجهله ولكنه يشعر به، خلافاً لبول فاليري الذي تعمد الإتيان بنظرية عندما قال: "إذا آمن الشاعر بالوحي قتل الإبداع". فإذا كان الوحي حالة من حالات النفس عند تأثرها المباشر بقدره خارقة وشئنا أن ننكر هذه الحالة أنكرنا جوهر النفس ذاته –

أنكرنا مبدأ الحياة. وأية غضاضة على الشاعر أن يكون وسيطاً لهذه القدرة الخارقة؟ فالأنبياء كانوا يتسقطون كلام الله. والقدرة الخارقة ليست منفصلة عن الإنسان، فهي جوهر نفسه. فإذا أرسل الشاعر نظره في معرض الطبيعة واجترت عيناه مشهداً من مشاهد هذا المعرض، ثم خبزه على نار هذا الجوهر فيكون قد أعطاك من نفسه. والنفس هي المصهر الداخلي الخفي لكل ما يحيط بالإنسان. فإذا كانت النفس مفضولة على الصفاء وتهيات لها العوامل الثقافية المكلمة، فإنها تنقيّ الشعور من أدرانته، وتقوم بهذا العمل من تلقائها فلا تكلفك إجهاداً ولا تعملاً.. شأن المعدة الصحيحة تهضم الطعام وتتولى توزيع الدم النقي في الجسد وإخراج الفاسد منه.

قلت إن القدرة الخارقة ليست منفصلة عن الإنسان فهي جوهر نفسه. فعلى هذا الجوهر تنصهر المرئيات وتشتبك في هذا العمل جميع الحواس. إذن، فالقدرة الخارقة التي يتأثر بها الشاعر هي نفسه. والنفس قوة لم يدرك كنهها لتُحدّ، فكيف ننفي الوحي الشعر ما دامت النفس مصهر الشعور؟

ويقول فاليري أيضاً إن الشاعر من يستطيع النظم ساعة
يشاء، وليس الشاعر وقفاً للمصادفة، وإنه لمن الخطل القول
بأن الشاعر منفعل لا فاعل، ومتسقط ما يلقي عليه.

كأني ببول فاليري يريد أن ينزل الشاعر منزلة النجار
أو الحداد يقبل على عمله ساعة يحين موعد العمل أو ساعة
يريد العمل، فيكون فاعلاً لا منفعلاً. وهذا أبعد حدود
الخطل وامتهان فاضح لجوهر الشعر. وإيان هو هذا الشاعر
الذي يصطنع العاطفة اصطناعاً ليعطيك كل ساعة إنتاجاً
كالنجار يعطيك الخزانة في الوقت المتفق عليه؟

إيان هو هذا الشاعر الذي لا يتأثر بما حوله ومن حوله
فلا هجر حبيب يؤثر فيه فيحرك شعوره، ولا موت صديق أو
صديقة ولا نكبة عزيز، ولا كارثة أمة ولا فرح شعب، لا
الظفر ولا الانكسار، لا الذل ولا الكرامة، لا بيع الطبيعة
ولا شتاؤها، لا صيفها ولا خريفها؟

وأية غضاضة على قريحة الشاعر إذا هي مرّت بساعات
خدر؟ أفيكون الشاعر ملتزم أشغال في يده مقياس الزمن
لإنجاز عمله؟ أفلا يتفق للقريحة أن تمر في ساعات خدر فلا

ترى ما تراه في ساعات اليقظة الروحية ، ولا تحس ما تحسه في ساعات التأثر والانفعال؟ وإلا ففيم لا يترك الشعراء من الروائع إلا ثلاثاً أو أربعاً لا تسليخ من العمر أكثر من سنة؟ قال أحد الشعراء الخالدين، إذا أحصي الوقت الذي وقفته على نظم قصائدي فلا يعدو تسعة أشهر. وقال فاليري أيضاً إن الشاعر الموهوب من يختار اللفظة الصالحة لإحداث الرعشة النفسية وإحياء العاطفة الشعرية.

على أن الشاعر الحقيقي لا طاقة له على اختيار اللفظة ، فله من شعوره الزاخر ما يصرفه عن هذه الألية. وعندي أن الشعر ينزل مرتدياً ثوبه الكامل. وهذا الثوب جزء من الشعور لا يتجزأ. وقدر ما تكون ثقافة الشاعر من الرقي والذوق الموسيقي في روحه يكون البيان راقياً في شعره.

وهذه اللفظة التي يريدنا بول فاليري على أن نختارها تتكاتف العناصر الروحية فينا على اختيارها ، فلا تكلفنا هذا العناء أو تصرفنا عما تراه بصائرنا خلال الأحلام والرؤى. فكل ما يكتسبه المرء يصهره جوهر نفسه ، القدرة الخارقة ، فيصير عضواً فيه.

سوى أن فاليري ما ليث أن نقض نظريته في الوحي الشعري في محاضرة له عن "الهامات البحر المتوسط". وفي هذا دليل على فساد النظريات في الأدب. فقد وصف الشاعر الفرنسي الزوارق الماخرة عباب بحر الروم، والجيف الحمراء تتركها الأسماك المبقورة، وأهرام البرتقال المصدر من إسبانيا، ودلل على إقطاعات الروح البشرية والأساليب التي تتكون منها هذه الإقطاعات، وعلى تطور النور الناشئ والسماء والشواطئ، وأثر هذه المشاهد في روحه.

و شاء أن يحدثنا عن جميع العوامل والمؤثرات التي كان لها الفضل الأكبر في تكوين مخيلته وإحساسه، فأخبرنا أن جمال البحر جذبه في صباح يوم. وفيما هو يغتسل ويمتع الطرف والروح بتموج النور على سطح الماء إذا بمشهد تقزله النفس يعترض نظره. فقد رأى على مقربة منه، في قعر الماء الصافي الشفاف، أشياء حمراء بلون الورد الخفيف أو الأرجوان العميق، وعلم بكثير من المقت أنها كتل فظيعة من أحشاء الأسماك التي طرحها الصيادون في البحر. ولم يقو على الهرب مما رأى ولا على تحمله لأن عاملين في نفسه

كانا يتنازعان الشعور بالجمال الحقيقي الغريب في فوضى هذه الألوان الأصلية. وفيما هو مستسلم إلى المقت والرغبة في الاستفادة، يتقاسمه عامل الهرب وعامل التحليل، كان يفكر في ما يستطيع استنتاجه من هذا المشهد. ثم انتقل بالفكر إلى ما في شعر القدماء من الوحشية والدم، وتذكر أن الإغريق ما تورعوا عن وصف أفضع ما تقع عليه العين... وإن الأساطير الإغريقية وشعر الملاحم والمآسي طافحة بالدم، ولكن الفن أشبه ما يكون بسطح الماء الصافي الذي رأى خلاله تلك الأشياء الفاحشة.

وانتقل بول فاليري إلى الدور الذي مثله البحر المتوسط بما اتصف به من الخصائص المادية في تكوين الفكر الأوروبي الذي حرر العالم البشري بأسره. ومما قاله أن طبيعة البحر المتوسط والعلاقات التي قررها أو فرضها كانت أساس التكوين النفساني والفني، هذا التكوين المدهش الذي استطاع بيضعة قرون أن يميز الأوروبيين من سائر الخلق، والزمن الحاضر من الأزمان الغابرة، فأقوام البحر المتوسط هي التي خطت الخطوات الأولى الوثيقة

لإيضاح الأساليب والبحث عن الظواهر الطبيعية باستخدام قوى الفكر.

وبعد أن وصف الشاعر مواقع البحر المتوسط ومزاياه الطبيعية انتهى إلى القول بأن إبداع الشخصية البشرية ورفعتها إلى مستوى من الرقي والتطور الأكمل كانا من مبتدعات هذه الشواطئ. ويتضح لنا من هذا أن فاليري أصبح مؤمناً كل الإيمان بـ "الوحي الشعري" بدليل أن البحر والشمس والسماء هي مصدر تكوينه وثقيفه، وأن طبيعة البحر المتوسط كانت أساس التكوين النفساني والفني الذي ميّز الأوروبيين من سائر الخلق...

ولن أعمد هنا إلى مجادلة هذا الرأي في تمييز الأوروبيين من سائر الخلق، فلعل في تمييز عنصره مدلول يخالف به الآخر، بل أقصر الكلام على الوحي الشعري من غير أن أذهب مذهب العرب القدماء في أن الوحي يلقن من فم شيطان، وأن الشياطين تسترق السمع وتلقيه على الألسنة.

فالوحي يتولد "على صفاء المزاج الطبيعي وقوة مادة
النور في النفس" - على حد قول المسعودي. وأضرب مثلاً على
ذلك هذا الغدير الصافي: لا تشقى العين في رؤية السماء
وغيومها وسحبها ونجومها ماثلة في قعره، كأن هذه السماء
وما عليها هاتف في أعماق نفس الغدير. وللطبيعة الحكم
المطلق في تصريف النفس البشرية وأثرها الكامل في
الحس، وليس في المبروءات النفسية والجسدية مالا تحكمه
الطبيعة.

وفي الطبيعة أسرار لطيفة لا يدركها الحس مهما دق،
بل يشعر بها إذا قويت النفس. والنفس مهما قويت لا تستطيع
قهر الطبيعة لاقتناص سرها اللطيف إلا إذا تجردت من أدران
هذا العالم. وهذا مستحيل.

إذا تجردت النفس من هذه الأدران بلغت النسبة النورانية
الكاملة، بلغت مستوى الطبيعة، بلغت ذات الله. والنفس
النقية هي الله.

على أن للنفس هنيئات تصفو فيها، فينعكس عليها
من الطبيعة جمال محبوب. وهذا الجمال يهتف في النفس

أسراراً تنطق لسان الشاعر الثقيف بمعانٍ شريفة. وعبثاً نحاول معرفة هذه الأسرار، فهي من الغموض واللفظ بحيث تدق على أذن حس، ويكفي أن نسمع من هذه الأسرار ما ينطق ألسنتنا ويفتح أذهاننا لمشاهد نراها بأب العين.

وربما أراد الأب بريمون بقوله: "إنه لا حاجة لفهم معنى الشعر، فالسحر المنبعث عن موسيقاه يؤثر في النفس تأثيراً مباشراً"، ربما أراد بقوله هذا أن يعبر عن تأثر النفس بانعكاس الجمال المحجوب في الطبيعة عليها، ويظهر أن هذا الجمال الغامض إنما هو موسيقى الطبيعة تعزف على أوتار النفس معزوفات غامضة من نوع ذلك الجمال.

على أن هذا، وأن يكن حقيقياً، لا ينبغي جعله أساساً للشعر. فالموسيقى هي عنصر من الشعر لا كله. وهذا العنصر غامض ككل شيء يسمع ولا يرى. ومن الخرق الفاضح أن نكتفي من الشعر بموسيقاه ونقدم فيه وصف مالا يوصف على سائر عناصره. فللشعر عناصر متساوية يجب أن تجري كلها في حلبة واحدة، فلا تنحط الفكرة عن الموسيقى أو الصورة عن الفكرة.

ومن الخرق أيضاً أن نتخذ الشذوذ قاعدة للشعر،
فنذهب مثلاً مذهب الأب بريمون القائل بأن الشعر الجميل
يخلو أحياناً من المعنى، أو إذا انطوت أجزاءه على معنى فلا
ينطوي عليه في مجموعه. فالشعر إذا اقتصر على الموسيقى لا
يلبث أن يشيع الملل حتى في الأذن. ولا بد هنا من القول إن
الشعر يرافق جميع وجوه التفكير. فالشاعر قد يطرق باب
الفلسفة ولا ينحط عن الشعر. على أن هذا الشاعر ليس بأبي
العلاء المعري مثلاً، فأبو العلاء يقحم الفلسفة في شعره
فيناقش فيها كالمعلم العالم، ولا يلزم المزاج الفني فيلجح إلى
الفكرة التي تبدو له بتعبير يستخدم فيه جميع أنواع
المجازات والاستعارة والرموز بحيث يحدث التأثير النفساني
المنشود.

وقد يطرق الشاعر أيضاً باب الزراعة ولا ينحط عن
الشعر كما فعل فرجيل في "الجيورجيات". فقد نظم هذا
الشاعر قصيدته هذه ليحمل الرومانيين على تعشق الأرض
نزولاً على رغبة أوغسطس. على أنه سير معارفه الزراعية في
موكب من الألفاظ الموسيقية حملته من عذوبة الحنان ورائع

الوصف ما أدرج قصيدته في عداد الروائع الشعرية الخالدة.
وما أقوله عن فرجيل أقوله عن جميع الشعراء الأقدمين
والمتأخرين الذين استخدموا مواهبهم لاكتشاف كنوز
الطبيعة والحياة. فالطبيعة هي قيثارة الشاعر، وعبثاً يحاول
الشاعر البحث عن أوتاره في غير هذه القيثارة. والشاعر
الحقيقي هو تاريخ عصره ملحنًا، فلولا الشعر ما عرف تاريخ
العرب في الجاهلية، ولولا ما عرف تاريخ الفروسية
والكرامات عند الرومان، ولولا ما عرف تاريخ الإغريق.
ولما أراد الكاتب الفرنسي إتيان باسكيه وضع كتاب عن
الحياة الوطنية في القرون الوسطى اضطر إلى قراءة الملاحم
الشعرية Les chansons de geste .

قرأت أخيراً مقالاً للكاتب الفرنسي إدمون جالو عن
شاعر عظيم من شعراء القرن الثاني عشر يدعى شوتا
روستافيلي، عاش تحت السماء التي أظلت الفردوس الأرضي
وجبل أراوات الذي وقف عليه فلك نوح. يقول ادمون جالو أن
لهذا الشاعر الذي اكتشف أخيراً قصيداً أو ملحمة رائعة هي
أمدوحة للإنسان كما كيفته أواخر القرون الوسطى، في

قوته، وشعوره بالشمم والعدل، وسذاجته على عتبة الانبعاث. قال: "حالما نقرأ هذه القصيدة (إنسان في جلد نمر) نقع في ذهول حيال هذه السكرة الشرقية، ذلك بأننا نحن الغربيين المساكين فقدنا عادة التشنج الكلامي، ونكاد نخفق في هذا الجو من البخور والألوان". هذا الجو الذي اجتاحت غيومه السامة بلدان الشرق مندفعة بقوة الاجتياح السياسي. واني لأتساءل ماذا ترانا نستطيع بهذا القاموس الضيق، هذا القاموس المستورد نتشبت فيه للتعبير عن أعمق حقائق النفس، فنرفع الكلفة بيننا وبين اللغة، ولا نتورع عن سلوك مهامه غائمة كأننا في حلم؟ وقد يخيل إلينا، ونحن نسلك هذه المهامه، أننا نسير في الطريق الشعري السوي، بينا نحن في الحقيقة لا نحاول إلا الخروج من أنفسنا مستعبدين لنظريات خاطئة بل مضررة تحرر منها حتى مبدعوها أنفسهم. فبول فاليري الذي جاءنا بمشاريع نظريات خلقت في الأدب العربي جيلاً مضعضاً لم يحد عن صراط ماليري، ولم يتمرد على القاعدة الكلاسيكية في النظم. واني لأجد في شعر فاليري أبياتاً كثيرة يستطاع دسها في شعر لامارتين،

كما أنني أجد في شعر البرناسيين أمثال غوتيه وبودلير ما يستطاع نسبته إلى شعر أعدائهم الرومانطيين كلامارتين وهوغو وفيني، وشعر الرمزيين كفيرلين ومالارمي.

قلت في مستهل هذا الحديث أنني لا أكتب هذه المقدمة لأحدد الشعر أو لأجيب بنظرية أتعصب لها وأعلن لأجلها حرباً، بل أكتبها لأرد صادراً إلى مصدره، لأرد الشعر إلى الطبيعة أمه. فمنذ اليوم الذي تأزمت فيه المشادة بين أدباء الغرب وطلعت وحوش النظريات من أوجارها يكشر بعضها في وجه البعض الآخر، التوى الشعر عن قصده وأصبح زياً يتلون بتلون الأهواء. ولكن النفس لا تخطئ لأنها معكس ومصهر لحقائق أبدية هي الطبيعة والحياة. ففيما المدارس الشعرية منصرفة إلى التطاحن إذا بطائفة من مبدعي هذه المدارس ترتفع عن الفرضيات الزائلة إلى المصدر الأبدية.

فرأينا بودلير البرناسي يصدر عن نفسه ويلتقي فيرلين الرمزي على صعيد واحد، ورأينا جميع الشعراء الحقيقيين من زعماء المدارس يتقلون في الأودية المظلمة ويجتمعون أنقياء على قمة واحدة هي الشعر.

فالمدراس الشعرية سجون ونظرياتها قيود ، والشاعر لا يعيش في جو العبودية هذا. فالطبيعة هي جو الفسيح تتكيف إحساساته بتكيف المظاهر المتقلبة فيه، وإذا خرج الشاعر من هذا الجو خرج من نفسه وكذب على نفسه.

الياس أبو شبكة

أفاعي الفردوس

شمشون

ملّقيه بحسـنك المـأجور
وادفعيه للانتقام الكبير
إن في الحسن، يا دليـلة! أفعى
كم سمعنا فحيحها في سرير
أسكرت خُدعة الجمال هرقلاً
قبل شمشون بالهوى الشرير
والبصير البصير يُخدع بالحسن
وينقاد كالضـرير الضـرير

مَلْقِيَه فَالِيل سـكـرـان واهِ
يـتـلـوى في خـدره المسـحـور
ونسور الكهوف أوهنها الحبُّ
فهانـت لـديه كالشـحـرور
وعنا الـليـثُ للـبـوءة كالظبي
فما فيـه شهوة للـزئير

شـبـقَ الـليـثُ لـيـلَةً فـتـزى
ثائراً في عرينه المهجور
تقطر الحمّة المسعرة الشهاؤ
منه كأنه في هجير

يضرب الأرض بالبرائن غضبان
فيُصدي القنوطُ في الـديجور
ووميض اللظى يغلف عينيه
فعيناه فوهتا تتورا!
ونزا من عرينه تتشظى
حممٌ من لظاه في الزمهير
واللهات المحموم من رئتيه
يشعل الغاب في الدجى المقرور
فسرى الذعر في الذئاب فقرت
وترامى إلى عشاش النسور
وإذا لـبوة مخدرة الحسن
تردّت من كهفها المخدور

تتضح اللذة الشهية منها :
خمرة من جمالها المأثور
فتت العبير في مخدع الليل
فتشهي حتى عروق الصخور
فتلاشى اللهيب في سيد الغاب
أمير المغاور المنصور
والعظيم العظيم تضعفه أنشى
فينقاد كالحقير الحقير!
ملقى ففى أشعة عينيك
صباح الهوى وليل القبور
وعلى تفرك الجميل ثمار
حجبت شهوة الردى في العصور

مَلْقِيَهُ فَبَيْنَ نَهْدِيكَ غَامَتِ
هُوَّةُ الْمَوْتِ فِي الْفِرَاشِ الْوَثِيرِ
هُوَّةُ اطَّلَعْتَ جَهَنَّمَ مِنْهَا
شَهَوَاتٍ تَفْجُرَتْ فِي الصُّدُورِ
مَلْقِيَهُ فَفِي مَلَاغَمِكَ الْحُمُرِ
مَسَاحِيْقُ مَعْدِنِ مِصْرٍ هُورِ
يَسْرِبُ السَّمُّ مِنْ شُفَافَتِهَا الْحَرِيِّ
إِلَى مَلْمَسِ الرَّدَى فِي الثُّغُورِ

خَيْمِ اللَّيْلِ، يَا دَلِيلَةَ! فِي الْغَابِ
وَأَغْفَى حَتَّى الشُّذَا فِي الزُّهُورِ

فانشقي فورة الحرارة من جسمي
وغدّي قواك من أكسييري
أنتِ حسناء مثل حية عدنٍ،
كـورود الشارون ذات العطور
وكغُفر الوعل الوديـع وإن
كنتِ تتاجين عقرباً في الضمير
لستِ زوجي، بل أنتِ أنثى عُقاب
شـرسٍ في فـؤادي المسـعور
فاشتهى، كل ليلة، مخلبي الدامي
على خزّ جسمك المخمور

وأتى الصبح ضاحك الوجه يرغى
زبدُ النور في ضجاء الغرير
أين شمشون يا صحاري يهوذا؟
أين حامي ضعيفك المستجير؟
أين قاضيك، دافع الضيم، طاغي
المستبدين، صائن الدستور؟
اعورت شهوةً من الحب عينيه
وكم أعور الهوى من بصير
إن قاضي المستعبدين لعبدٌ
وقضاةُ عورٍ قضاةُ العور

حفلت قاعة العقاب بجمع
من سراة المسوِّدين غفير
هم رموز الشقاق والفتن الحمراء
والغدر والزنى والغرور
اقبلوا يشهدون مصرع شمشون
على لذة الطلا والزمو
بؤرة تعبى القذارة منها
سُترت بالشفوف والبرفير
أيدين الخاطي جناة صعاليك
ويقضي الفجور ذنب الفجور
وسرت خمرة الوليمة في الحفل
لتقديس ساعة التكفير

وكان النسيم شُوقاً للخمرة
فانسَلَّ من شقوق الخدور
ولنقر المدفوف صوت غريب
يتحدى صوت العقاب الأخير
وإذا قينةٌ تخالجهما السكرُ
على مشهد من الجمهور
فتتنت تضاجع الجوّ نشوى
من تلوي قوامها المحرور
رقصة الموت، يا دليّة! هذي
أم تراها اختلاجةً في الخمور؟
وصفا الجمع للأسيريناديه
بشّتي مطاعن التحقير:

"هيه شمشون، أيها الفاجر
الزنديق يا عبد يهوه المقهور
أحكيمٌ من العتاة تذرّي
شعره قينةً من الماخور؟"
فتلوّى شمشون في القيد حتى
حلّ فيه روح الإله القدير
فنزاً نزوة الوميض من الغل
ودوّى كنافخ في صور:
بدي، يا زوابع النار، أعداء
إلهي، ويا جهنمُ ثوري
وتنفس، يا موقد الثأر، في صدري
وأغرق نسل الريا في سعيري

وامصصي، يا دليلة الخبث، من
قلبي، فكم مرة مصصت قشوري
وارقصي، إنما البراكين تغلي
تحت رجليك كالجحيم النذير
وتقني بمصرعي، فكثيراً
ما سمعتُ الفحيح في المزمور
أصبح الليث في يديك أسيراً
فاطرحيه سخريةً للحمير
واجعلي الغلّ رمز كل صريح
واليواقيت رمز كل غدور
إن أكن سُقت في غرامك شراً
فالبرايا مطيئة للشـرور

غير أني أجني من الجيف الجرداء
— مهما قذرتُ — شهد فقير
هيكل الإثم لم أبح لك ذلي،
شبح الرق لم أسلمك نيري
فاسقطي يا دعائم الكذب الجاني
وكوني أسطورة للدهور
محق الله في شر ظلامي
فلتضيء في الحياة حكمة نوري
إن تكن جزت الخيانة شعري
في ظلامي، فقوتي في شعوري!

1933

القاذورة

حلمتُ بدنياً — ليتها لا تبددُ
لذائذ أحلامي ولا كان لي غداً! —
أضن بإنشادي على الناس سحرها
وهل في الورى أذن إذا قمت أنشد
وأوقظت مذعوراً إلى شرها جس
كأنى روح، في جُثام، مشرد
— نفيق من الحلم الشهي إلى رؤى:
كوابيس في يقظاتها تتسرد —

فألفيتُ دنيا من فواجعها الورى
على بابها لوح من الرقّ أسود
قرأت عليه أحرفاً خطها اللظى
يروءك منها اثنان: "سجن مؤبد"
فطوّفت في غمرٍ من الليل والخنا
يعريد والأرجاس ترغي وتزيد
وللحماء الغالي نشيشٌ ورغوة
كان الورى مستتقع يتهد
وأغمدت في صلب الدجّة ناظري
وفي كل جفن لي من الهدب مبرد
فأبصرت أطباقاً تُعمّدها يدٌ:
أصابع من عظم، وتصبغها يد

صباغ يفور الخزيُّ منه ملاصقاً
إذا علقـت فيها النواظر تجمد
وشاهدت في الأطباق مفسدة الـورى
تمور بها الـيدان سكرى تعربد
مقاذرُ تمشي في الحياة طروبة
تغني، وأصداء القبور تردد
هم الناس في الدنيا تهاويلُ حنطت
بكيـتُ عليهم في جحيمي وغيّدوا
وما هذه الدنيا، يذرى رمادها
لريح الفنا، إلا جحيم مرمّد
تلاشت به النيران غير بقية
تشبّ، لها في شهوة الطين موقد

ففي طبقٍ مستتقٍ في صقيعه
نمت حشراتٌ فاجرات توقد
نساءً أقلت في الصدور مرضعاً
على فمها الوردى لللاثم مورد
عواهر افنت في الفجور شبابها
فما روحها إلا عجوز تقود
مرضعها فطساء فهي ضفادع
على ما بها من شهوة النار تجلد!
وداعاً عذارى الحب في خيم الهوى
جمالك محظور وعدنك موصل
فقدتك حتى في أغاني مزهري
وكان لشعري منك ما يتجود

ألا اغلقتي الفردوس في وجه شاعر
يضم طنابير الجحيم وينشد
لئن تك نار البغض تلظى بعينه
ففي قلبه النوار للحب مزود
يحس فراديس الحياة بروحه
وليس يرى إلا جحيماً يهدد!
كما يثبت الصفصاف في عاصف الدجى
وللأفق وجه هابط الغيم أريد
وللريح في الغابات زعق كأنه
صدى الجن في وادي الجحيم يزغرد
كذلك يبقى في دجى النفس ثابتاً
جمال له في قبة النفس فرقد

ويفي طبق واد تكدر ماءؤه
فلا عشبة تنمو ولا غصن ينقد
ولا تسامع الأرواح في شمعاته
خلياً يغني أو هزارة يغرد
فثمة جردان ترى النور آفة
فتؤثر أوجار الظلام وتلبد
ملوك يقاضون النفوس إلى السما
وينهي بأيديهم ضمير مدود
على فهم سفر السماوات مشرع
وفي روحهم سيف الجحيم مجرد
إذا ما لحاهم مؤمن فهو فاجر
وأن ندم من أغلالهم فهو ملحد

وثمّ خفافيشٌ موالييدُ بـؤرة
إذا غار فيها سيدٌ بانَ سيد
سلاطين حُفت بالسياط عروشهم
فسيدهم — هول الصعاليك — مجلد
ترى منهم العاتي يقى نخاعه
صباغاً على شسع الغزاة ويسجد
وثمّ جراداتُ عطاش غوارث
ينكرها وهج الجناح فتمرد
محبّرة الأردن مفجوعة الحشا
توايبت يطلّيتها لجين وعسجد
لها في مقاصير السماء مطامح
وليس لها في مسلك الجو مقود

تفرّش فيه وقَّحُ الوجه والسما
لأنسرها، لا للصراصير، مصعد
قياصرة عور الملاحم، زيّفت
يواقيت في تيجانهم وزمرد
مجانين تستاف البلى من خيالهم
يناط بهم من نسل عبقر سؤدد
مواليد فردوس أراغوا نفوسهم
فلم يبق للوجدان فيهن مولد!
عذيرك من نور الفراديس عبقر
ومغناك في متن السماك مشيد
وتشعل في عينيك ناراً نقيّة
بمقدسها طيف السماء مجسّد

وصدغك مدهون بزيت مطهر
وبالبسم الشايفه واك مضمد
رأيتك تمشي في المساخر شاعراً
وتاجك محطوم عليك مكمم
وروحك ممسوخ ونورك ذاهل
وشعرك بالغل الدنيء مصفد
وشاهدت أشباح السماء كئيبة
عليك، بأسواط الأراجيف تطرد
فقيم أزغت النفس عن نهج قدسها
فصارت مغاراً سافلاً وهي معبد!

1934

الأفاعي

أجيبه أني ما أزال مقرّباً
بنفسي إلى نجم يقال له الشعري
وأنّي لم أنسلّ في سرّب الدجى
بغاءً لألقيه على دّعري سترا
ولم أغش أخدار النساء من الكوى
فأجعل سيّين المغارة والخدرا
وما رغتُ من زوج فدارجته على
ولائى، وفي هذا الولا بغية نكرا

فلما قطرتُ الصدقُ خبثاً بصدرة
قطرت له في نسله قطرة أخرى
أقول لها أعراق زوجك لم تنزل
وفي قلبه عطف الأبوة لم يبرى
ولم يبر إحساس الرجال بصدرة
فحبك يجري منه في الجهة اليسرى
أقول لها ثوب العفاف تذكرني
ففي ساعة الإكليل لم يك مغبرا
لبست رداء العرس أبيض ناصعاً
فمن أين جاءت هذه اللطخة الحمراء؟

رسائلك الحمقاء أصبحن في يدي
أعيدك بالشيطان من هذه البشرية
لقد أيبس التكفير أزهار عهدها
فسلمت المجنون أحلامك الخضرا
لقد ندمت، لكن سترجع، أنني
لمحت عليها من ندامتها طمرا
ستملكها ما شئت بعد فلا تخف
وتمتصها حتى تصيرها قشرا
ستحفر مصقول الرخام بجسمها
شفاهك حتى تبرز الأعظم الصفرا
ستمزج بالسم الزعاف دماءها
لتجعلها للموت مصلاً فيجتراً

وترمي بها في حماءة الويل والخنس
سُقاطة عار تلهم الخوف والذعرا
أجل، سيراك الليل بعدُ تضمها
ويصرك. المصباح تعصرها عصرا
وسوف ترى فيك المآثم نعمة
قد التصقت في بطنها حية سمرا
ستملكها ما شئت بعدُ فلا تخف
فإن ابنها لما يزل يجهل الأمرا
صغير، بريء العين، يرضى بلعبة
فيرقد مغبوطاً بذى الهبة الكبرى
ينام ولا يدري بأن سخافة
تلهى بها كانت لموقنة سعرا

1929

في هيكل الشهوات

مالي أرى القلب في عينيك يلهبُ
أليس للنار، يا أخت الشقا، سبب؟
بعض القلوب ثمار ما يزال به
عرف الجنان، ولكن بعضها حطب

ذكرت ليلة أمسٍ فاختلجت لها
والليل سكران مما سحت السحب

ذكرتها غير أن الشك خالجنى:
أن النساء إذا راوغن لا عجب
فهن من حية الفردوس أمزجة
يثور فيهن من أعقابها عصب

أخاف في الليل من طيف يسيل على
موجات عينيك حيناً ثم يغترب
طيف من الشهوة الحمراء تغزله
خمر الليالي وفي أعماقه العطب
ووجهك الشاحب الجذاب ترهيني
ألوانه يتشهى فوقها اللهب

ما زلت تفتصبين الليل في جهد
حتى تجمد في أجفانك التعب
وما السواد الذي في محجريك بدا
إلا بقايا من الأحشاء تُغتصب!
وحق طفلك لم أشمت بامرأة
زلت بها قدم أو غرّها ذهب
فرب أتى يخون البؤس هيبتهما
والبؤس أعمى، فتعى ثم تنقلب
لي مهجة كدموع الفجر صافية
نقاوتي والتقوى أم لها وأب
فكيف اختلس الحق الذي اختلسوا
وكيف أذاب عن لؤم كما ذنبوا؟

لي ذكريات كأخلاقى تؤدبني
فلا يخالجنى روع ولا كذب!
أبقى لي الأمس من غلوائى عفتها
ولم يزل في دمي من روحها نسب
وحق روحك، يا غلوا! ولو غدرت
بي الليلي وأصمّت قلبي النوب
إن كنت في سكرة أو كنت في دعر
ومر طيفك مرّ الطهر والأدب
وأنت، يا أم طفل في تلفته
سؤل العفاف وفي أجفانه لعب
صبيّ الخمر فهذا العصر عصر طلا
أما السكارى فهم أبناؤه النجب

لا تقنطي إن رأيت الكأس فارغة
يوماً، ففي كل عام ينضج العنب!
صبّي الخمر ولا تبقني على مهج
موج الشباب على رجلك يسطخب
أما أنا، ولو استسلمت أمس إلى
خمر الليالي، فقلبي ليس ينشعب
قد أشرب الخمر لكن لا أدنسها
وأقرب الإثم لكن لست أرتكب
وفي غدٍ إذ تنير الطفل ميعته
وتهرمين ويبقى ذلك الخشب
قولي له: جئت في عصر الخمر فلا
تشرب سوى الخمر واشحب مثلما شحبوا

قولي له: هذه الأيام مهزلة
وليس، إلا لمن ينشئ بها، الغلب
قولي له: عفة الأجساد قد ذهبت
مع الجدود الأعماء الألى ذهبوا
قوي لطفلك ما تستصوبين غداً
فكل أمر له في حينه خطب
ولكن اليوم صبى الخمر وانتخبى
من الملمات ما الأثم تتخب
ولا تخافى عذولاً، فالعذول مضى
والعصر سكران، يا أخت الشقا! تعب
طريقه الشك، أئى سار، يملكه
وحلمه الشهوات الحمر والقرب!

1929

سدوم

مغناك ملتهبٌ وكأسك مترعة
فاسقي أباك الخمر واضطجعي معه
لم تُبقِ في شفّتك لذاتُ الدّمّا
ما تذكرين به حليب المرضعه
قومي ادخلي، يا بنت لوط! على الخنى
وازني فإن أباك مهّد مضجعه
إن ترجعي دمك الشهي لتبعه
كم جدول في الأرض راجع منبعه

لا تعبأ أي بعقاب ربك إنه
جرثومة من نارك المتدفقة
في صدرك المحموم كبريتاً إذا
أورثتها نار الذراري المزمعه
فكل صقع من ضلوعك قسمة
خَلَعُ على لهب الشباب موزعه

إيه سدوم! بُعثت من خل اللظى
حمراء في شهواتك المتشـرعه
في كل جيل من لهيبك سنّة
سكرى محطمة عليه مخامه

عقبت بيَ الذكري إليك فأشعلت
قلبي وأجفاني رؤاك الموجهه
شاهدت من خلل اللهب حدائقاً
كانت نواضري في الفصول الأربعة
نشقت من الفردوس عبقة سحره
ومن السماء طيوبها المتضوعه
خضراء طاهرة الغراس كأنها
بصفاء عدنٍ لا تزال مبرقعته
وكان من تكفير آدم نفحة
فيها، ومن صلوات حواءٍ دعه
ورأيتُ غدراناً: مرضع تربية
بأجنة الزهر الندي مرصّعه

ومراوح الفجر الجميل على الذرى
يلقى عليها كل طير مخدعه
ورأيت حوراً في شقوق زنايق
بيضاء من لبن الجنان مشبعه
نفخ الصبي بنهودها فتكورت
وتبسمت عن وردة مترفعه

ماذا فعلت، سدوم! أين جواذبُ
كانت على تلك الخدور مجمعه
فيم استحال لبانك النامي إلى
خمر بكاسات الفجور مشعشه

فـذوّبتِ خـمـرك لا ليصـبح طـاهراً
لـكن لـيسـتـهوي النـفـوس فتـجرعه
وجعلتِ غـرغـرة الأـفـاعي كـأسه
ليـذوق مـنـها كل قـلب مـصرعه

سـكـرت بـك الدنـيا ، سـدوم! فـكـلها
زمرُّ على طـرق الحـياة مـتـعـمه
وأثـرت حـنـجـرة الفـجـور فـأطـلقت
حـمماً على نـغم الجـحـيم مـوقـمه
أغـنـية حـمـراء أنـشـدها الخـنى
مـزقاً على أوـتـارك المـتـقطـعه

أسدوم هذا العصر لن تتحجبي
فبوجه أمك ما برحت مقنّعه
كانت منكّرة كوجهك عندما
هبت عليها من جهنم زوبعه
قذفتك صحراء الزنى بحضارة
ثكلى مشوهة الوجوه مفعّعه
بؤرّ مسنّرة الفساد بخدعة
نكراء بالخز الشهي مرقّعه

أسليلة الفحشاء! نارك في دمي
فتضرمي ما شئت إن تتضرمي

أنا لست أخشى من جهنم جذوة
ما دام جسمي، يا سدوم! جهنمي
طوفت بي ميتاً بأروقة اللظى
فحملتُ تابوتي وسرت بمأتممي
وعصبت بالشبق المجرم جبهتي
فرفعتها في عصري المتهكم
علمتني لغة النبوءة عندما
فجرت ألسن السوموم بمنجمي
مهلاً، كلانا يا سدوم! مسلح
فلظاك في جسمي وثأرك في فمي
سيّرت قلبي في المهازل شاعراً
وذرت مسحوق العظام بمرقمي

فكأن غضبة أنبيائك عندما
أحرقت عاشت في اللظى المتكلم
أبغى هذا العصر خمرك فاغري
واسقي ذراري السورى واستسلمي
وبمضجع الغرياء نامي حقبلة
ثم اعدلي عنه لآخر وارتمى
وترنمي ما شئت في حمأ البلى
حتى يجف بك الرضاع وتهرمي
حتى تضاجعك الأفاعي في الدجى
ويصير حسنك مخدعاً للأرقم
حتى يفور الدود منك وينثني
يمتص جيفة عرضك المتهم

حتى يدب الموت فيك وتمحي
ذرية المهدي الأثيم المجرم

1931

الخيال النقي

يا ابنة الإثم هذه شفتايا
فارشمي منها رحيق الخطايا

واعصري، ما استطعت، قلبي، فقلبي
لم يزل فيه من غرامي بقايا

وتوقي إحدى زواياه، لا تقسي
فلي حرمة بإحدى الزوايا

إن في قلبِي البغيَ خيالاً
من عفاف ما فاجرتَه البغايا

إن تكنِ حفنتي المدمّةُ ملكي
فخيال العفاف ملكٌ سوايا

عَهْدَات

أولا تـــــــراهم يرتـــــــدون
الليل حتى منتهـــــــاه
يســـــــتنزفون دم الشـــــــباب
ويرقصـــــــونَ على قـــــــواه؟
هـــــــذا فتى كـــــــانت تمـــــــوجُ
بـــــــالجواذب وجنتـــــــاه
كـــــــان الندى يطفـــــــو على
آمـــــــاله وعلى صـــــــباه

كانت أزاهير الربى
بالأمس تسكر من شذاه
وذرى الجبال إذا رأته
تقول: "ما أعلى ذراه!"
— ماذا دهاه اليوم؟
— الشهوات تعرف ما دهاه
أما الجمال فإنه
لم تبق تعرفه دماه
ولكم سمعت الورد ينكره
فيسأل: "من تراه؟"
والفجر أصبح يعرف
الدنيا جميعاً... ما عداه

عهدان: عهد هوىً نقيّ
مات في شرف وجاه
وهوى يعربد في دمي
وتنش في كأس ي دماه
لم أدري من هي أمه
العربي، ولم أعرف أباه
بحر من الشبهات: مرآة
لأهل وال الحياة
ألم صخرته الصغيرة
والمسخر شاطئاه

لا تطعم الحبيب اللجام
ودعه يدلج في سراه
دعه فأم الطفل تملكه
كما ملكت سواه
لسريرها خلجاته
ولمرش فيها مرشاه
ونساء هذا العصر إن
أحبين أطعمن الشفاه
أما قلوب العاشقات
فإنها... واخجلتاه!

1929

الشهوة الحمراء

أطفئ ضيالك وأظلم مثل إظلامي
وخلّني في كوابيسي وأحلامي
فربّ نيّرة، يا ليل! توقظني
إلى العفّاف فأنسى عبء آثامي
أحسُّ في جسدي شوقاً يعذبني
ففي دمي سورة كالخمر في جامي
لم يبق في حفنتي نارٌ لغير هوى
يودي بجسمي كما أودى بأجسام

حبي النقيّ كإيماني القديم مضى:
وهمّ هذيتُ به من بعض أوهامي!
أترى الغصنَ مذيماً عليه
عاصف الريح كيف تذوي زهوره
هكذا القلب حين تلبسه
الأثام يقسو، وقد يجف شعوره
يا حسرة الليل كم توحين من حُلم
ميتٍ لقلبٍ بغيٍّ أخت آلام
أو قلب أرملة جار الزمانُ على
عفافها، فأماتت قلبها الظامي
مهما يكن سبب استسلامها، أهوى
في النفس، أم كان إنقاذاً لأيتام

فلتقضِ شهوتها حتى يهدمها
ما كان في صدرها من عهرها الدامي
وتتجزأ الشهوة الحمراء دورتها
فيمحى رحم من بين أرحام!
أميرة الشهوة الحمراء، إن دمي
من نسلك الهادم المهذوم فاحترمي
خُلقَت تحترفين الموت فاقتربي
مني فإنني احترفت الموت من قدم
حملت منجله في العهر منتقماً
من النساء فهاتيه لتنتقمي!
هاتي من العهر أشكلاً ملونة
نمهرُ بها بعضنا بعضاً ونهدم

لقد تعبتُ من الأحلام في جسد
ملّ العفاف بألوانٍ من الألم
ولنُعاطِ الهوى، لعل عصيراً
من ثمار الشفاء والأكباد
أو لعل الآثام تشرب منا
ما تبقى من طهر ماء العماد
إننا اتحدنا ليوم واحد، وغداً
يأتي فيخلفني قوم بحبهم
سيعشقونك يوماً يغنون به
ما غادرت منك ساعاتي ليلهم
وسوف تتسين، يا أخت الدما! فمهم
كما نسيت، على رغم الدماء، فمي!

عشرون قلباً شربتِ الحب من دمها
وما شبعْتِ، ولم يشبع شرب دمي
إذن، فسوف تظل النفس جائعة
حتى يجف دمٌ في غلفها النهم!

سـترجعين!.. ولكن مثل آمالي
جوفاء مشلولة في جسمك البالي!
سـترجعين مـدماً مشـوهة
أدنى إلى الموت مني رغم أثقالي
سـترجعين كطيف مرّ في حلمي
ليلاً فذكرني في الحلم أهوالي

سترجعين، ولا أقصيك عن جسدي
حتى تحل الليالي الحمر أوصالي
حتى يحل وباءُ الخلد في كبدي
ويعلق العارُ من بعدي بأذيالي!
غير أني، ولي يراع مدمي،
سوف ينقى ذكري وتنقى دمائي
ستقول الأجيال كان شقياً
فليقدس في جملة الأَشقياءِ
ويرفع الحب لي في كل زاوية
من القلوب ضريحاً خالداً عالي
أما الشباب ففي أقصى سُلالته
لن ينتسي كيف كانت في الهوى حالي

سينظر الغد في أمسي ويفرره
لأن قلبي كنفسي غير محتال
وكلمما ذكر اسمي مرّ في فمه
ذكرُ التي صقلت للموت أغلالِي
ذكرُ التي اختصرت عمري بشهوتها
وخلدت عهها الدامي لأجيال!

أجل ستذكرك الأعقاب والحقب
ما دام في الأرض من صلب الزنى عقب!
لا مثلما ذكر الإفرنج "لورهم"
ولا كما ذكرت "عفراءها" العرب

بل مثلما ذكرت روما قبائحها
في مقلتي "مسلينا" وهي تضطرب
هذا هو الليل فاسقي السم هاتفة
لعل في الناس قوماً بعد ما شربوا
وسرّحي يدك الصفراء فوق هوى
يسيل في محجريه الجهد والتعب
ولتكن هذه الإشارة رمزاً
لاصفرار على الملذات مرّاً
لوتيهما بالاصفرار إلى أن
يختم الموت نزعها المستمرا
اطفئ ضيالك فإن النور يُذكرني
أمسي، وتقلق روحي هذه الشهب

قد يوقظ النور أعياداً مقدسة
تشع من خلل الماضي وتلتهب
أطفئه يا ليل! واغمرني بحالكه
من الظلام فأنسى حين أحتجب
أشقى بلذتي الحمراء في جسدي
وأمحّي، لا هوى يبقى ولا وصب
خرّبت قلبي وأطعمت الوحوش دمي
في كل مخلب وحش منهما خرب

1929

شهوة الموت

نأقُمُ على السماءِ
حاقِدٌ على البشرِ
ساخِطٌ على القضاءِ
ثائرٌ على القدرِ
غيرِ قطرةِ المساءِ
لا أُحِبُّ في السُّحرِ
صرتُ أمقتُ الصفاءِ
صرتُ أعشقُ الكدرِ

ألهوى إذا اتقـد
كان للبلوى طريقق
فلنمت يداً بيد
ولنغيب البريقق
بين شهوة الجسد
والرحيقق!

1929

حَدِيثُ فِي الْكُوخِ

سَمِعْتُني أَقُولُ شِعْرًا شَقِيًّا
يَسْتَفِزُّ الْأَلَامَ فِي سَامِعِيهِ
فَتَلَّشْتُ وَتَمْتَمْتُ فِي سَكُونِ
الليْلِ: "اللَّهُ! مَا الَّذِي يَشْقِيهِ؟"
ثُمَّ أَخْفَتُ فِي ضَفَّةِ الْعَيْنِ دَمْعًا
شَاءَ سِرُّ الْوَقَارِ إِنْ تَخْفِيهِ

قلتُ: "في مقلتيك خمر العذارى
فهي أكسيرك الذي تحجيبه
ما خمور الكؤوس مهما تطلت
كخمور القلب الذي تعصرينه
تسكين الشعر الطروب من العين،
وفي النفس غير ما تسكينه
إن فيها آيات حزنٍ أليمٍ
ورموزاً من الليالي حزينه!"

وتمادى السمارُ في خمرة الكأس،
وكلُّ منهم سها كأخيه

وعزيف الأوتار يمزج بالخمير
عصيراً أرقّ من شاربيه
قلت: "في مهجتي فراغ رهيب
فاعصري فيه فلذة تملأيه!"
فأمالت عني عيوناً سكارى
وأمالت إلي قلباً شقياً!
وأذابت من مقلتيها رحيقاً
جرعته الشجون في مقلتيها
ثم قالت: "خبرت حب البغايا
فنظمت العذاب شعراً بغياً!"

فتبينت كل ما أضمرته
حين مالت عني ومالت إليا

وتراءى في رفرف الليل مولود
عليه غلالة من أبيه
فأطلت من كوة الكوخ،
والليل يزف الضحى إلى ساهريه

قلت: "فيم تفكرين؟" فقالت:
"في سكون الدجى وفي ما يليه!"

واشرأبت من الكوى الأعناق
وأذابت بريقها الأحداق

واستفاقت من نومهن العذارى
حائراتٍ، والعاشقون استفاقوا
الخليّون أوماً أو بيديهم
وبطرف اللواحظ العشاق
واستفاق الجميع من نشوة الخمرة
حتى الأمال والأشواق

قلت: "في ما تفكرين؟" فقالت:
"في يراعٍ سحرُ الهوى من ذويه
في يراعٍ علمته الحب حتى
صرت أهواه، صرت من عاشقيه!"

فذكرت الماضي وقلت لقلبي:
"إنها، يا شقي! تهواك فيه"
أيها الفجر، يا حبيب الشقيين،
ويا مشعل الهوى والشباب
أيها الشاطئ المسرّ إلى الموج
حديث العشاق والأحباب
أيها الكوخ، والعيون السكرى
بخمور لم تمتزج بعذاب
لا تحبسي قلبي فلم يبق فيه
من بناء الماضي سوى أخشاب

وانصرفنا ، وقبل أن أتوارى
عن جمال الشاطئ وعن ساكنيه
قلتُ للمرأة التي آلمتني
حين قالت: الله! ما يشقيه؟
"لِيَ قَلْبٍ أَفْرَغْتَهُ فَاتْرَكِيهِ
فِي الْهَوَى فَارْغَاً وَلَا تَمْلَأِيهِ!"

1929

الصلاة الحمراء

رباه عفوك، إني كافرٌ جان
جوّعت نفسي وأشبعتهوى الضاني
تبعته في الناس أهواء محرمةً
وقلت للناس قولاً عنه تنهاني
ولم أفق من جنون القلب في سبلي
إلا وقد محت الأهواء إيماني
رباه عفوك، إني كافرٌ جان!

لكم دعيتني إلى الفحشاء أميال
وأنذرتني تجاريبٌ وأهوال
إن التجاريب للألباب موعظةٌ
لكنها لألي الأضلال أضلال
تلك الليالي المواضي لا يزال لها
بين الخرائب في عيني أطلال
واحسرتاه! وقلبي لا يزال له
في لذة العار أوطارٌ وآمال
لما استفاقت عيوني
في ذلتي وهواني
عزمت أن أتعري
من شهوتي فتاني

وقال لي: "الحكم حكمي
والأمم رطوع بنياني
لا تسطيع الـتغني
في الحـب عن سلطانـي
والحـب لا يتغـذي
إن لم يكن شـهواني!"
فلم أجد لي مفيضاً
يوماً من الإذعان
فصرت أغـذوه عـاراً
والـنفس في تـيهان
وصار يسـكر روحي
بـنغمتي خـفان

بنغممة من لهيب
ونغممة من دخان
حتى ظننت نعيمي
في ذلك البركـان
رباه عفوك، إني كافرٌ جان!

وطأت لي كنف الدنيا فقلت قفي
يا نفس في منهل اللذات وارتشفي
ومال مذهب طبعي عن سجيته
حتى تقلب في بطل وفي صاف
وغاب عني إني عشبة نبتت
على جوانب إبريق من الخزف

على جوانب إبريق إذا نظرت
عين إلى عتقه انحطت على تلف
فخـارة ذات نـتـنٍ
قـديـمة كـالـزـمـان
مـرّت قـرون عـلـيـها
فـحـال لـون الـدهـان
ومـهـد الـنـتـنُ فـيـها
مـسـار بـ الـديـدان
فـخـارة دُـسـتـها
خـاطر الـإنـسـان
تـخـاصـمـت جـانـبـيـها
مـظـالم الـأـديـان

كأنما الـدين فيها
ضرب من الويل ثان
كم مرة أوعـدتها
ثـوائر الغليـبان
وكم تفجـر فيها
بالأمس من بركـان
تبقى قرونـاً طـوالاً
وتمحـي في ثـوان
خزافهـا ذو حنـان
حينـاً وذو سـاطان
ينهي ويـأمر بالصـا
عقـات والـنيران

ديـدانهـا مسـكـرات
بـخمـرة التـيجـان
والـتـاج، لـوهـي تـدرـي،
مـعـنى مـن البـهـتان
رـبـاه عـفـوك، إـني كـافـرٌ جـان!

فـخـارة جـبـلت بـالـدمـع والـطـين
مـن عـهد قـايـين أو مـن قـبـل قـايـين
نـيـرون أـضـرم فـيـها جـمـر مـقـلتـه
تـلك البـراكـين مـن أـجـفـان نـيـرون
تـبادـرتـها مـن الـديـدان طـائـفة
أـبـطـال حـرب مـن الغـلب المـجـانـين

ماكان اسكندر فيها سوى شبح
يحجب الشمس عن عيني ديوجين
ماكان جنكيز إلا
شراة في الكيان
تضرمت وتوارت
بين الرماد الفاني
رب المغول إليه
نيران والعصيان
ثارت عليه، كما
ر، سنة النيران
والنار تمحى إلا
تذكر في الأذهان

أبقت لفارس ذكرى
كسرى أنوشروان
وقوضت ما بناه
من شاهقات المياني
لم تُبقِ إلا بقايا
خورنق النعمان
تلك البقايا عظام الـ
زمان للإنسان
تلك البقايا رموز
لسخرات الأماني!
أيمن الذي شيدته
جلال الرومان؟

حُلِّم من المجد أبقى
أسطورة في السان
شرع المقدر آلاً
يقتضى سوى الخسران
أما الكمال فحالم
في هجعة النقصان
يرقى إليه رويداً
على متون الزمان
على الإرادة والتضامن
حيات والعرفان
حتى إذا حُكَّ كان الـ
كلام للطوفان
وكان للنار رأي

وللدمار يــــدان!
أمّ الــــزلزل طــــوًا
فــــة بــــكل مــــكان
آثارهــــا باقــــيات
وقفــــاً علــــى الأــــجفــــان
والنــــاس، واحــــســــرتاهُ!
اثــــان مــــختلفــــان
أعمــــى لــــه مــــقتــــان
فــــي العــــقل مــــبــــرتان
ومبــــصرٌ أظلمــــته
عــــينــــان لا تــــريــــان

تُرى مشيئتك العليا تتاديني
بثورة النار في تلك البراكين؟
رياه! هل ينتهي حلمي ببارقة
من اللهب، ويخبو الطين في الطين
وهل أرى زاحفاً في الليل ملتهباً
بجمرة السخط في أيدي الشياطين
أدعوك، والظلمة الحمراء تحرقني،
فلا تجيب، وتلوي لا تتجّيني؟
اعترضت عنك غداة القلب ضاللي
كأن شهوة قلبي عنك تغنيني
وحين أوقظت من سكر الهوى خجلاً
بحثت عنك، وكاد العار يخفييني

فلم تمل قلبك الرحمن عن ألمي
وقلت: "تطلبني بين المساكين؟"
لكنتني عدت بعد الـ
تكفير عن تيه تاني
إلى ذنوب جسم
كثيرة الألمان
ملوثات بدمع
مخضبات بقمان
وقلت للقلب: "أطلق
في الموبقات عن تاني
طيف الإله بعيد

وعينيه لا ترانني."
وقيل يـوم عصـيب
يـنقضّ قبـل الأوان
تنفّذ النار فيه
والحكـم للـديان
فرحت أسأل نفسي الـ
دفاع عـن كـفراني
فلـم أجد من يحامي
عـني سـوى بهتـاني
رياه عفوك، إنني كافرٌ جان!

1928

الدينونة

حـوّل خيالك عـني
ولا تخـيّم عليـا
فلـيس أهـلك مـني
ولا اللـظى مـن يـديا
لم أغـش في الـنفس مـأثم
ولم أنـادم رجـالك
إبـليس! لـيس تـجهـنم
داري، فحـول خيـالك

قيثارتى لم أَلطَّخها بأقذار
على طوايفِ بها في بؤرة العار
عذراء تتهم العُرى بكارتها
في كل خمارة أصغت لأوتاري
وكل قاذورة ترقى بعورتها
إلى لسانٍ ذريف الخبث سيَّار
تتكر الخضر المسوخ في دمها
بزخرف عاقر في منطلق عار
أوتار قيثارها الموبوء فاجعة
كأنها حيلة لاذت بقيثار
أفعى أصيبت بحمى المجد فانقلبت
من كهفها مزقاً سكرى على الغار

إبليس! خذ هذه العرى فإن بها
ما في جحيمك من زفت ومن نار
خذها إليك وعقمها، فلا حبلت
أنثى من الأنس بالكبريت والقار

كم شاعر خبثت فيه عرائسه
فراح يملئ بأنياب وأظفار
من المواخير أوحين الجمال له
معرّف الشهوة السفلى بأزهار
وجئته بأكاليل مفعّمة
نمت سموماً على حافات أوجار

تاج من الدرك الأدنى يطوف به
على الخفافيش في أشلاء أطمار
تسير في ركبه الأقدام: حاشية
قامت لتأييده في ملكه الهاري
تهتكت سخريات الخلود به
فصاح: تلك على الأجيال آثاري
لا يضمم الحبّ إلا في محاجره
فعينه للهوى والقلب للثار
إبليس! خذه وعقمه فلا نشأت
من صلبه أسرة شوهاء في دار

كم عاشق راغ من عذراء طاهرة
علت من الملاء الأعلى بأنوار
باكورة الحب أبقى في مرآشفها
ثدي السماء رضاع الفاطر الباري
حتى إذا أذنت فيه وفاجرها
وقام يطرحها عن جسمه الضاري
أهوت على يأسها واليأس ينخرها:
أما الضريح وأما العار فاختاري
وكم ولي رعى شعباً فأهلكه
ترغي على زهده أرياق عشار
وحاكم سفلت فيه وداعته
فأظهرت حملاً في قلب جزار

إبليس! خذهم جميعاً في براقعهم
وارفع جناحك عن أبكار أوتاري
خذهم إليك فلا عادت سلالتهم
وعقم النار، يا إبليس! بالنار

حوّل خيالك عني
ولا تخيم عليّ
فليس أهلك مني
ولا اللظى من يدي
لم أغش في النفس مآثم
ولم أنجادم رجالك

إبليس! ليس جهنم
داري، فحول خيالك

وما سرى في مقاصير اللظى خبُرُ
حار اللهب به واستسألت سقر
إن الورى أطلقوا ريحاً إلى سقر
تقود للنار قوماً دانه البشر
حتى أطلت من الأشباح طائفة
في هودج يتنزي تحته الشرر
بُله العيون ضخام كلما وغلوا
في مسرب من دياميس اللظى صغروا

تجرهم بومة حمراء في يدها
فأس على جانبيها صُور الدعر
فثار ثائر أهل النار كلهم
وجيشت زمر في أثرها زمر
تدفقت من سراديب الجحيم إلى
أيوان إبليس حيث الجن قد سكروا
وكان في موكب الأشباح ذو بطر
يفح في شفثيه حيّة ذكر
عليه قيثاره ثكلى مخلعة
وصولجان من الأحلام منكسر
يلقي على غرف النيران أخيلة
من ثوبه الأحمر القاني فتستعر

فما أصاخ إلى الأنعام يعزفها
رهط من الجن حتى مسه خدر
وصاح: "ما هذه الرؤيا، وأين أنا؟"
فقال إبليس: "مهلاً هذه سقر
حملت قيثارة في الأرض كاذبة
من الحقيقة لم ينبض بها وتر
وريشة من جناح اليوم ما رسمت
إلا خفافيش بالديباج تستتر
فأنت لي وجعيمي لي أوزعه
على الألى أنشدوا شعراً وما شعروا".
وكان في موكب الأشباح ذو صلف
في كفه سلع، في عينه قذر

يجرّ ذيل قـوانين مشـوهة
من الفضيلة لم يعلق بها أثر
فقال إبليس: "أطرق، إن من سفلت
يداه في الأرض لا يعلو له بصر
فأنت لي وجحيمي لي أوزعه
على الألى أقسموا للشعب وابتهروا".
وكان في موكب الأشباح ذو خطل
يرغبي ويزيد لا يبقى ولا يذر
في مقلتيه بـراكين مرّمة
وفي الجبين خيال الله يندحر
فقال إبليس: "أقصر، لم تكن غضباً
في منطق الرسل الآيات والسور

فأنت لي وججيمي لي أوزعه
على الألى ما جزوا إلا ليثروا".
وكانت الخمر ترغي في مقاصفها
والجن تعزف والنيران تنفجر
إذا بصوت من الأرض التي صفحت
يقول للنار: "أهل الأرض قد غفروا"

1933

الطرح

رَجِمُ الأُمَ لعنةُ أنتَ منه
في دمائي كانت وفي أعراقي
أم عقاب لما تستحقّ من حبي
في لــــذتي وفي أشــــواقِي؟
حملت أمك القنوط إلى وجهي
وكنت الرجاء في أعماقي
جئت في سحنة المسوخ فلم
حطمت حملاً نما على أحداقي

ألأني بذلت حبي ولم أطمعك
منه سوى الفتات الباقى؟
عشت فى مقلتي ساعة هول
حجرت غصتي على إشفاقي
وأرتني، كأنني فى جُثام،
عالمًا فيك موحش الآفاق
فرأيت المسخ المخيف على أكمل
حسنٍ، والقزم فى العملاق
ولسان الثعبان فى قبلة الصديق
والسمِّ فى الشراب الواقى
وسمعت الفحيح فى النغم العذب
وصوت العود فى الميثاق

كم نفوس رأيتها تلفظ الإثم
فيرقى منها إلى الأرياق
لذة الإثم كيف تمقتها النفس
ويحلو وعصيرها في المذاق؟
كم فتى يسعر الجحيم بعينه
وفي القلب لسماء مـراق
ولقد ينصر الجحيم فيردي
بعضه ما ببعضه من خلاق
وسمعت الحياة تهتف في نفسي
فيصدي الهتاف في أـواقـي:
"أهلك المائتـون في رحـمي الحـبـ"
وسمّوا الزلال في ترياقـي

فطرحت الأقسام في أسواق
عبراً للدمار في العشاق
ورأيت الفردوس لفت أفاعيه
غصوني وكمشت أوراقه
وتراءت لي الطبيعة دنيا
من كمال نسيقة الأذواق
فرأيت الجماد شبعان حباً
كل صدر عليه ثدي ساق
إن في الحب صورة الله، لكن
أين في الخلق صورة الخلاق؟

1938

المحتوى

5.....	الياس أبو شبكة/ تقديم حكمت إبراهيم هلال
17.....	في حديث الشعر أفاعي الفردوس
37.....	شمشون
49.....	القاذورة
58.....	الأفاعي
62.....	في هيكل الشهوات
68.....	سدوم
77.....	الخيال النقي
79.....	عهدات
83.....	الشهوة الحمراء
92.....	شهوة الموت
95.....	حديث في الكوخ
102.....	الصلاة الحمراء
116.....	الدينونة
127.....	الطرح

**إصدارات سلسلة
كتاب الجيب السابقة**

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
1	المقاومة مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
2	المقاومة مختارات شعرية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
3	القصة القصيرة في سورية الراحلون	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
4	علامة الشام أحمد راتب النفاخ	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
5	رفقة السلاح ... والقمر	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
6	صوت في الظلام قصص ايطالية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
7	الخرز الملون خمسة أيام في حياة نسرين حوري - رواية وثائقية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
8	الأديب - النص - الناقد / د. طه حسين ميخائيل نعيمة - فؤاد الشايب - د. محمود أمين العالم - بدر شاكر السياب	د. خالد البرادعي	د. حسن حميد	2007
9	ظاهرة (الأدب الصهيوني) / إطلالة على : (المصطلح النشأة الموضوعات)	محمد توفيق الصواف	محمد توفيق الصواف	2007
10	أبو خليل القباني رائد المسرح العربي	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
11	نازك الملائكة	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
12	الشاعر محمد الحريري مختارات	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
13	عبد الله عبد مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
14	الإصلاحيون أحمد أمين	د. حسين جمعة	د. خالد محي الدين البرادعي	2007
15	مختارات من أدب الأطفال	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
16	يائيل ونصوص أخرى	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
17	وداعا يا دمشق	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
18	ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر إصدار الرابطة الثقافية النسائية في دمشق 1944م	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
19	إنصاف المرأة	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
20	أحب الشام -ناديا خوست	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
21	التراب الحزين بديع حقي	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
22	القصيدة المشقية وقصائد أخرى - نزار قباني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
23	مختارات من نوح الغدليب شفيق جبيري	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
24	مختارات من أعمال الأديبة غادة السمان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
25	مختارات قصصية للأديبة قمر كيلاني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
26	مقالات دمشق - مكان وسكان وألوان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2009
27	سميح القاسم - الصورة الأخيرة في الألبوم	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
28	مقهى الباشورة - خليل السواحري	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
29	جبرا ابراهيم جبرا - عرق وقصص أخرى	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
30	محمود درويش - مختارات شعرية من دواوينه والانترنت	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
31	عائد إلى حيفا وأعمال أخرى - غسان كنفاني	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
32	عذبة رواية - صبحي فحماوي	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
33	حكاية الولد الفلسطيني 1971 - أحمد دحبور	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
34	أسئلة الثقافة في القدس والمقاومة - مقالات - المتوكل طه	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2009
35	مختارات من شعر علي الجندي	د. حسين جمعة	محمد حمدان	2010
36	الجولان في القصة السورية (حضور المكان) - علي المزعل	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
37	(الأمريكي) أحمد رفيق عوض	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
38	ملكوت البسطاء - رواية خيرى الذهبي	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
39	مختارات قصصية رقصة ليلة الوداع - رشاد أبو شاور	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
40	شفيق الكمالي - مختارات شعرية زبير سلطان قدوري	زبير سلطان قدوري	فاديا غيبور	2010
41	الأعلام الشعري في التراث العربي - أحمد سويلم	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
42	الظل الثالث وقصص أخرى مختارات قصصية - د. خليفة صالح أحواس	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
43	بريجيت مأساة تمثيلية ذات خمسة فصول-يوسف نعمة الله جد	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
44	انطون تشيخوف دراسات ونصوص د. شاكر خصباك	د. ابراهيم الجراي - عبد العزيز المقالح	د. ابراهيم الجراي - عبد العزيز المقالح	2010
45	عبد الله البردوني قصائد مختارة ودراسات	د. حسين جمعة	د. ابراهيم الجراي	2011
46	القصيدية تبحث عن نفسها (شعراء التسعينيات والاثمات الشعرية الساندة)	د. ابراهيم الجراي	د. ابراهيم الجراي	2011
47	مختارات من أدب الخيال العلمي العربي - رقم 004 يأمرم	د. طالب عمران	د. طالب عمران	2011
48	الله والغريب مختارات شعرية سلامة عبيد	فواد الكحل	د. ثناء زين الدين	2011
49	ماياكوفسكي غيمة في سروال	مالك صفور	د. ابراهيم الجراي	2011
50	سليمان العيسى- اليأس : أمل يستنسخ أوصافه	د. ابراهيم الجراي	د. ابراهيم الجراي	2011
51	محمد الفراتي مأخوذاً بالوردة والسيف مختارات شعرية	د. حسين جمعة	شاهر امير	2011
52	تزيه أبو عفش حارس الالام	د. ابراهيم الجراي	د. ابراهيم الجراي	2011
53	الشاعر العربي الحديث مسرحياً	د. علي جعفر العلاق	د. ابراهيم الجراي	2011
54	حكم النبي محمد ليف تولستوي	مالك صفور	مالك صفور	2011
55	جان جاك روسو المصلح الاجتماعي - محمد عطية الأبرشي	مالك صفور	مالك صفور	2012
56	بدر شاكر السياب- منزل الأفتان	مالك صفور	مالك صفور	2012
57	حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي	د. جميل صليبا- د. كامل عياد	مالك صفور	2012

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
58	بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) عام 1968 ملحة عكاش-	د. حسين جمعة	مالك صفور	2012
59	ابن الرومي حياته من شعره ج 1 عباس محمود العقاد	مالك صفور	مالك صفور	2012
60	ابن الرومي حياته من شعره ج 2 عباس محمود العقاد	مالك صفور	مالك صفور	2012
61	كان ما كان - ميخائيل نعيمة	مالك صفور	مالك صفور	2012
62	إمرأة من برج الحمل - اعتدال رافع	ماجدة حمود	ماجدة حمود	2012
63	من النكبة إلى المقاومة والتجديد	مالك صفور	مالك صفور	2012
64	الأعاصير - الشاعر القروي رشيد سليم الخوري	د. حسين جمعة	د. ثائر زين الدين	2012
65	عبد اللطيف عقل دراسات ومختارات	ياسين فاعور	ياسين فاعور	2012
66	حكيم الدهر أبو العلاء المعري	مالك صفور	مالك صفور	2012
67	الإصدار الأول للموقف الأدبي	مالك صفور	مالك صفور	2012
68	عقريات العقاد (دراسة وتحليل)	مالك صفور	د. حسين جمعة	2013
69	الاشتراكية والأدب	مالك صفور	د. حسين جمعة	2013
70	رباعيات عمر الخيام	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2013
71	طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2013
72	ليس لدى الكولونيل من يكاتبه		مالك صفور	2013
73	ما الشعر العظيم؟	د. نزار بريك هندي	د. حسين جمعة	2013
74	الشعر بين الفنون الجميلة	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2013

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2013	مالك صفور	أ. محمد راتب الحلاق	الفقه والتصوف والمسائل الشرعية في الخلافة	75
2013	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	صالح العلي ثائراً وشاعراً	76
2013	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	أبو القاسم الشابي شاعر الشباب والحرية	77
2013	مالك صفور	د. نزار بني المرجة	أنا من سلالة الصخور	78
2013	مالك صفور	د. نزار بني المرجة	الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي	79
2014	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	الأدب للشعب	80
2014	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	مدح الظل العالي	81
2014	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	معارك فكرية	82
2014	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	واقعية بلا ضفاف	83
2014	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	كيف تعلمت الكتابة	84
2014	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	السيف والترس	85
2014	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	بعث الأمة العربية ورسالتها إلى العالم	86
2014	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	الغربال	87
2014	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	الله	88
2014	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	عصا الحكيم	89
2014	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	الفارابي	90
2014	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	الأدب الثوري عبر التاريخ	91
2015	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	المسألة اليهودية	92

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
93	مذكرات مستر همفر	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	2015
94	صوت أبي العلاء	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	2015
95	فن الأدب (جزء 1)	مالك صفور	رضوان قضماني	2015
96	فن الأدب (جزء 2)	مالك صفور	رضوان قضماني	2015
97	الإسلام بين العلم والمدنية	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2015
98	حكيم الدهر أبي العلاء المعري	مالك صفور	مالك صفور	2015
99	شظايا من عمري	شاهر أحمد ناصر	مالك صفور	2015
100	لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2015
101	الدين والعلم والمال		مالك صفور	2015
102	غاية الحق (أفق التنوير وجماليات السرد)	نذير جعفر	د. نضال الصالح	2015
103	في الحياة والأدب	نذير جعفر	د. نضال الصالح	2015
104	إن الأدب كان مسؤولاً	مالك صفور	د. نضال الصالح	2016
105	أسرة المرائش الأدبية في حلب	د. نضال الصالح	عيسى فتوح	2016
106	الجواهر الرجعي للصهيونية	مالك صفور	مالك صفور	2016
107	سريال وقصائد أخرى	د. نزار بريـك هنيدي	د. نضال الصالح	2016
108	حضارة الطين	إسماعيل الملحم	مالك صفور	2016
109	ضرورة الفن الجزء الأول	نذير جعفر	مالك صفور	2016
110	ضرورة الفن الجزء الثاني	نذير جعفر	مالك صفور	2016

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
111	قادة الفكر	فلك حصرية	مالك صفور	2016
112	جرائم تركيا في سوريا والعراق والحجاز ولبنان	حكمت إبراهيم هلال	مالك صفور	2016
113	خارج الحريم	إسماعيل الملحم	مالك صفور	2016
114	عيسى صفور (بلاغة البازلت)	ثائر زين الدين	ثائر زين الدين	2016
115	رحلة الشام لإبراهيم عبد القادر المازني	د. نسيان بنسي المرجة	د. نضال الصالح	2017
116	(عملاء النفوذ) وتفكيك الاتحاد السوفييتي	د. ناديا خوست	مالك صفور	2017
117	المذابح في أرمينيا	حكمت إبراهيم هلال	مالك صفور	2017
118	نزاريات... أيقونة الحب... والوطن	فلك حصرية	فلك حصرية	2017
119	من ديوان الجرح السوري	ثائر زين الدين	ثائر زين الدين	2017
120	الله والفقر	مالك صفور	مالك صفور	2017
121	قسطنطين زريق مفكراً ومؤرخاً	عيسى فتوح	عيسى فتوح	2017
122	جرح الوطن	محمد حديفي	محمد حديفي	2017
123	فن القصة والمقامة	نذير جعفر	مالك صفور	2017
124	فلاسفة الحكم في العصر الحديث	فلك حصرية	مالك صفور	2017
125	أشعب ملك الطفيليين	فلك حصرية	مالك صفور	2017
126	فيلسوف الفريكة	د. خلف الجراد	مالك صفور	2017
127	الخيال الشعري عند العرب	فلك حصرية	مالك صفور	2018
128	قميص الصوف وقصص أخرى	مالك صفور	فلك حصرية	2018

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2018	فلك حصرية	فلك حصرية	أيقونات	129
2018	صالح سميا	صالح سميا	الحياة في الظل	130
2018	مالك صفور	فلك حصرية	سيد هارتا	131
2018	مالك صفور	د. يديع السيد اللحام	وجوه الراحلين	132
2018	صبيح سعيد	مالك صفور	خصام ونقد	133
2018	علي جمعة الكعود	د. نضال الصالح	أصوات شعرية من الجزيرة السورية	134